الباب السابع

الديركتوار (حكومة الادارة)

أكتوبر سنة ١٧٩٥ — نوفمبر سنة ١٧٩٩

الفصل الأول

الادارة وفرنسا

اجتمع مجلسا (الادارة) فى ٢٧ اكتوبر سنة ١٧٩٥ بعد أن انحل المؤتمر واشتغل مجلس الشيوخ بانتخاب المديرين الخمسة فلما تم ذلك وكملت هيئة هذه الحكومة الجديدة رأى المديرون انهم على رأس حكومة كجحر الضب أو هى أخرب . إذ لم يكن بالقاعة التى أعدت لانعقادهم مكتب يجلسون حوله ولا ورق يكتبون عليه . وكانت الخزائن خاوية والجيش معطل الأجور والأمة بأسرها تشكو قلة الطعام . وكاد اليأس يمتلك قلوبهم عند ذلك لولا أن الأحزاب السياسية كانت قد سئمت النزاع فأغلقت

الأندية ورجع الثائرون الى حقولهم ومصانعهم . وعادت السكينة الى البلاد وانتظمت الحالة فى داخليتها نوعا ما .

وكان استقرار الحكومة على هذا النحو خليقا بأن يمكنها من مهادنة أعدائها وعقد صلح شامل معهم جميعا لو لا أن معاهدة (بازل Basl) — أبريل سنة ١٧٩٥ — التى انسحبت بعدها بروسيا من التحالف الدولى الأول كانت سببا فى أن تجدد انجلترا عهدها مع النمسا على العمل بمفردهما لمقاومة الثورة واسترداد ما استولى عليه رجالها فى هولنده وغيرها . ولم يكن لفرنسا من القوة البحرية ما يمكنها من مواجهة انجلترا فحولت جهودها الى النمسا . ورسم كارنو (Carnot) خطته لمهاجمتها بتوجيه ثلاثة جيوش اليها سار أولها عن طريق (الماين) تحت قيادة جوردان (Jourdan) وسلك ثانيها طريق الطونة تحت قيادة مورو (Moreau) وولى نابليون قيادة ثالثها ليقوم ببعض مناوشات فى ايطاليا تكون سببا فى توزيع جيوش النمساويين بين ألمانيا وايطاليا . حتى يتسنى للجيشين الرئيسيين الانتصار على الأرشيدوق شارل قائد الجيوش النمساوية فى ألمانيا . ولكن أبت نفس ذلك الضابط الفتى الا أن يكون بطل هذه الحرب وفارس ميدانها . فلم تلتحم فرقته بجيوش أعدائه حتى بهر أبصار أوروبا بكراته وانتصاراته .

الفصل الثانى

نشأة نابليون — حياته الأولى

كانت أمه ليتيشيا رامولينا سيدة كورسيكية من الطبقة الوسطى وكان أبوه شارل بونابرت من سلالة أسرة شريفة نشأت فى تسكانى (Tuscany) بايطاليا . ولكنها أصابها الفقر وأخنى عليها الدهر فهاجرت الى كورسيكا وهناك ولد نابليون فى مدينة (أجاكسيو) فى الخامس عشر من شهر أغسطس سنة ١٧٦٩ ولم يكد يبلغ العاشرة من عمره حتى أدخله أبوه مدرسة (برين) الحربية فى فرنسا حيث قضى خمس سنوات ونصف كان فى غضونها يقدم اسمه فى تقرير المدرسة الى الملك لامتيازه فى دروس الرياضة وسعة اطلاعه على التاريخ والجغرافيا . وفى سنة ١٧٨٤ غادر برين ودخل مدرسة باريس الحربية ونال بعد سنة فيها رتبة ملازم ثان فى المدفعية الفرنسية .

حياته العملية

وانصرف فى ذلك العهد الى الشئون الكورسيكية بكليته وكان شديد الكراهة لفرنسا نظرا لأن بلاده (كورسيكا) كانت اذ ذاك

تابعة لجنوا فقام فيها حزب يسعى لتحقيق استقلالها وكادت تتوج جهوده بالنجاح لو لا أن تقدمت فرنسا لشراء هذه الجزيرة بمالها فأسرعت جنوا الى بيعها وتسليمها . وبذلك اعترضت فرنسا طريق أبنائها المجاهدين وقضت على آمالهم الوطنية .

على أن نابليون انضم الى جانب الشعب فى الثورة الفرنسية عند قيامها ثم اعتزل مركزه فيها وعاد الى كورسيكا طمعا فى أن يكون قائدا لاحدى فرق الحرس الوطنى فى أجاكسيو . فلما لم يفلح عاد الى فرنسا مرة أخرى مع أسرته وفى سنة ١٧٩٣ كان قائد المدفعية فى حصار تولون ورفع بسبب فوزه فى هذا الميدان فوق مرتبته . وفى سنة ١٧٩٤ انتدبته لجنة الأمن العام لقضاء مهمة سياسية فى جنوا وسقط بعد ذلك روبسبير . وكان نابليون ممن أوقفوا وسجنوا فى خلال تلك العاصفة . ولم يفرج عنه الا « لاحتمال نفعه » فى المستقبل . واستعان به بعد ذلك (بارا Barras) لحماية المؤتمر من الثائرين كما أسلفنا . ولم يمض على ذلك قليل حتى عين فى ٩ مارس سنة ١٧٩٥ قائدا عاما لجيش ايطاليا الذى أعد لغزوها وهو لم يبلغ من العمر الا خمسا وعشرين سنة .

وفى مساء ذلك اليوم التاريخ تزوج بجوزفين بوهارنيه صديقة بارا وأرملة أحد أشراف فرنسا الذين ذهبوا ضحية مقصلة الثورة الفرنسية

الفصل الثالث

الحملة الايطالية

لما وكل أمر هذه الحملة الى نابليون رأى أن يجعل قاعدته الحربية بين مدينتى نيس وجنوه على ساحل البحر الأبيض المتوسط ثم يزحف من هناك على سهول ايطاليا الشمالية ولكن جيوش النمسا وحليفتها سردينيا كانت منتشرة على الجبال التى توازى الساحل شمالا لتسد الطريق أمامه ولتمنعه من الزحف على تلك السهول .

ولم تكن تزيد قوة نابليون على ٤٠ ألفا من الشبان الفرنسيين حديثى العهد بالجندية والذين لا خير فيهم إلا أنهم كانوا شبانا أقوياء امتلأت قلوبهم حماسة ونشاطا . وهم فيما عدا ذلك ضائعون بين ملابس رثة ممزقة وأطعمة رديئة قليلة ومرتبات معطلة ضئيلة ولم يكن فى خيول هذه الحملة كلها أكثر من مائة حصان تصلح للعمل . فكان فى تولية شاب حديث السن مثل نابليون على حملة مضعضعة مثل هذه الحملة ضرب من ضروب التفكه فى مراعاة النظير . وظن كثير من الناس أنه من خرق رأى

الحكومة أن تقوم بمثل هذه الأعمال .

أما نابليون فان زيارته لتلك البلاد سنة ١٧٩٤ أعانته على القيام بواجبه خير قيام . كما أنه اتخذ ما كانت عليه فرقته من سوء الحال وسيلة لاحراز النصر حيث أطمع رجاله فى وفرة الغنائم التى يطرحها النصر تحت أقدامهم واليك أول خطاب وجهه الى جنده حين أشرف على سهول لمباردى :

« أيها الجند . انكم والله لجياع عراة . وان الحكومة لمدينة لكم ولكنها لا تستطيع أن ترفع عنكم سوء حالكم . وأن صبركم على ذلك وتجلدكم لن يجديا كم غير الشرف . فلا كسب فيهما ولا نفع . وهاءنا أقودكم الى أخصب سهول العالم حيث المدن العظيمة والغنى الوفير بل حيث تجدون الشرف والعزة ولذات الحياة . فيا جنود جيش ايطاليا . أو تنقصكم فى ذلك الشجاعة ؟ ! » .

فقابل الجند هذا الخطاب بالهتاف وانسابوا من خلف قائدهم على النمساويين وكان أهل سردينيا فى حلف معهم كما أسلفنا ورأى نابليون أنه لا يقوى على مواجهة الخصمين متحدين فعمل على مقابلة كل منهما بمفرده . فأنزل ضرباته الأولى على قلب الجيش النمسوى حتى صدعه . ثم أسرع الى السردانيين فتعقبهم حتى كاد يبلغ حاضرة بلادهم (تورين) فبادروا بمهادنته ونزلوا له عن

المعاقل العظيمة التى تعتبر مفتاح ايطاليا من هذه الناحية .

وكان فى عزم نابليون بعد فراغه من ايطاليا أن ينضم الى جيشى جوردان وموروا لمهاجمة النمسا فى الشمال . ولكنه علم أن الفوز كان للارشدوق شارل عليهما حيث ردهما الى ما وراء الرين وبذلك استطاعت النمسا أن تبعث بنجداتها الى مدينة مانتوا التى كان يحاصرها نابليون فى سهل (البو Po) فأخذ عدته للقاء هذه النجدات وشتتها واحدة بعد واحدة وانتهى الحال بحامية مانتوا أن فتحت له أبوابها فى فبراير سنة ١٧٩٧

ولما لم يبق أمام بونابرت مجال للقتال فى ايطاليا رقى بفرقته جبال الألب . وانحدر منها الى سهول النمسا الجنوبية . فارتد اليه الارشدوق شارل والتحم معه فى عدة معارك متتابعة كان النصر فيها جميعا لنابليون وما زالت تتقدم جنوده حتى بلغ مدينة ليوبن (Leoben) وهى تبعد عن فينا ٨٠ ميلا فقط فتقدمت اليه رسل النمسا فى طلب الهدنة . وعقدت بعد ذلك معاهدة كامبو فورميو (Campo Formeo) التى تقرر فيها أن تنزل النمسا لفرنسا عن البلجيك وولايات غرب الرين فى نظير أن تستولى هى على البندقية . وبلغت قيمة الأموال التى أرسلها نابليون الى حكومة الادارة خلال هذه الحملة خمسين مليونا من الفرنكات .

الفصل الرابع

الحملة المصرية

غادر نابليون فرنسا فى بدء الحملة الايطالية ضابطاً نكرة لا يعرفه الا أفراد قلائل من رجال الجندية ورجال الحكومة الفرنسية ولكنه عاد اليها بعد انتصاراته الباهرة علما مشهورا لا يتحدث الناس الا بما صنع ولا يتطلعون الا حيث طلع . والتفت حوله الشعب وخشى المديرون على نفوذهم أن يخسف أمام هذه الشخصية الساطعة فودوا لو تخلصوا منه وأبعدوه عن فرنسا .

ورأى نابليون بدوره أن الحرب هى التى رفعته الى هذه المنزلة السامية . وأن الحرب هى التى تحتفظ له بها . فأطال التفكير فى التماسها . وجد فى البحث عن ميدان جديد يتسع المجال فيه لمواهبه وما كان يملأ صدره من الآمال .

وكانت انجلترا لاتزال على عدائها لفرنسا بعد أن انحل التحالف الأول وانسحبت الدول التى اشتركت فيه واحدة واحدة فعول نابليون على نزالها ولكنه رأى أن يحاربها فى مستعمراتها الشرقية وأن يبدأ بغزو مصر ليجعلها قاعدة حربية له يسير منها جيوشه الى ولايات

الهند . ورأت الحكومة أن هذا يحقق فكرتها فى ابعاد نابليون عن فرنسا فاستحسنت هذا الرأى وبذلك اتفقت الآراء جميعها على القيام بهذه الغزوة وأعدت معداتها . ووكل أمر تنفيذها الى نابليون .

وفى ١٩ مايو سنة ١٧٩٨ خرج نابليون من ثغر طولون بجيشه ومراكبه سرا . لأن انجلترا بعد أن وقفت على نواياه أرصدت له « نلسون » أميرال البحر الانجليزى ليحول دون وصوله الى مصر . ولكن زوبعة قامت فى ذلك اليوم اضطرت نلسون الى العدول نحو الشاطىء قليلا . فانسابت مراكب نابليون فى عرض البحر وبلغت «مالطا» ثم انتهت الى الاسكندرية فى أول يوليه سنة ١٨٩٨ حيث أعلن نابليون احترامه للاسلام والمسلمين وأنه انما أتى من قبل السلطان لطرد المماليك ونصرة المصريين عليهم . فلم يلق مقاومة من الشعب . وكل ما أبداه المماليك من المقاومة أن زعيمهم مراد بك حاول لقاءه فى شبراخيت كما حاول صده فى امبابة فخاب أولا وثانيا . ودخل نابليون القاهرة فى ٢٤ يوليه حيث جاءه نبأ (موقعة النيل) التى حطم فيها نلسون مراكبه عند « أبى قير » .

ولما رأى نابليون أنه انقطع بذلك عن فرنسا وجه جيوشه

الى الشام لتعويض هذه الخسارة فاستولى على العريش وغزا ويافا ثم حاصر عكا حصارا طويلا تكبد فيه خسائر فادحة واضطر فى آخر الأمر الى رفع الحصار.

ولقد بلغه فى ذلك الحين من أخبار فرنسا وارتباك حكومة الادارة وقيام الدول بتحالف ثان عليها ما جعله يفكر فى العودة اليها لا سيما بعد أن فشلت الحملة المصرية وضاع كل ما كان قد علق عليها من الآمال(١).

غير أنه لم تكد تطأ قدماه أرض مصر حتى علم بوصول حملة عثمانية الى أبى قير. فسار اليها من فوره وردها على أعقابها ثم عهد الأمر فى الديار المصرية الى الجنرال كليبر أحد قواده. وسافر سرا فى الثانى والعشرين من شهر أغسطس الى الاسكندرية. واستقل من هناك زورقا صغيرا حمله هو وجماعة ممن معه الى فرنسا فوصلها فى أكتوبر سنة ١٨٩٩

(١) كان نابليون يعجب بتاريخ الاسكندر المقدونى وكان يحلم بأنشاء امبراطورية فى الشرق تضارع امبراطوريته.

الفصل الخامس

انقلاب برومير (١)

بينما كان نابليون يقوم بغزواته فى مصر وسوريا كانت الادارة تريد أن تثبت أن فى فرنسا غير نابليون قوادا أكفاء وساسة عظماء ينشرون نفوذها ويعلون كلمتها . فسيرت جيشا الى روما قلب حكومتها البابوية الى جمهورية بعد أن قبض على البابا نفسه وهو اذذاك فى الثمانين من عمره وأرسله الى فرنسا أسيرا حيث قضى نحبه سنة ١٧٩٩ م .

وكانت سويسرا بحكم متاخمتها لفرنسا قد تأثرت بمبادىء الثورة وقام أهلها بفتنة ضد حكومتهم يسعون الى قلبها واقامة حكومة جمهورية فيها كحكومة فرنسا . فانتهزت الادارة هذه الفرصة واحتلت البلاد السويسرية وقلبت نظامها الاتحادى الى نظام جمهورى . وكانت كذلك قد اتسعت اطماعها فى ايطاليا فاستولت على بيدمنت وتسكانيا ونابولى وحملت چنوا على اعلان الجمهورية .

(١) برومير اسم الشهر الذى يوافق شهر نوفمبر فى التقويم الذى وضعه رجال الثورة .

ولكنها عجزت بعد ذلك عن الاحتفاظ بنفوذها فى هذه الدائرة الواسعة فما كادت الدول تحس ذلك منها حتى تألف ضدها تحالف جديد دعت اليه انجلترا بقية أوروبا فاشتركت فيه :

(١) النمسا حبا فى أن تستعيد نفوذها فى ايطاليا .

(٢) وتركيا التى ضاعت مصر من يدها .

(٣) وروسيا التى لم يرقها تدخل فرنسا فى الشرق .

وتقدمت جيوش المتحالفين ضد فرنسا فى كل مكان وألحقت بالجيوش الفرنسية خسائر فادحة كانت هى السبب فى اضطراب الادارة وتزعزع مركزها . والاسراع فى عودة نابليون من الشرق وكان الرأى السائد بين الفرنسيين اذ ذاك أن نظام الادارة لا يتفق مع سياسة التوسع الذى تريده فرنسا لأن تشعب السلطة فى أيد كثيرة من شأنه أن يربك الأمور لا سيما فى أوقات الحروب . ولذلك اتجهت الأنظار الى قلب هذا النظام .

وقام فعلا (الأبى سيايس Abbé Sieyes) أحد المديرين الخمسة بوضع مشروع جديد لحكومة فرنسا جعل السلطة التنفيذية فيه بيد قنصلين : أحدهما للسلم والآخر للحرب ، ومن فوقهما رئيس صورى لتمثيل البلاد تمثيلا سياسيا على أن يكون له حق عزل القنصلين الآخرين . أما هو فيكون أمر عزله فى يد مجلس

الشيوخ . ووزع السلطة التشريعية بين عدة مجالس حتى لا تستأثر بها هيئة خاصة . فخصص مجلسا لوضع مشروعات القوانين وآخر لمناقشتها ودرسها . وثالثا للاقتراع على قبولها أو رفضها ثم جعل من وراء كل هؤلاء مجلسا للشيوخ يحتفظ أعضاؤه بكراسيهم مدى الحياة ليكونوا قوامين على هذا الدستور وليكون فى بقائهم ضمان لبقائه .

فلما وصل نابليون من مصر ورأى أن الفرصة متهيئة لاحداث الانقلاب الذى كان يمنى نفسه به ركز عزمه على أن يكون صاحب الشأن الأول فى نظام الحكم الجديد . وكان طبيعيا أن يضع يده فى يد (سيايس) أقدر المشرعين الدستوريين فى فرنسا فى ذلك الوقت . فتم الاتفاق بينهما على قلب نظام الحكومة الحاضرة أولا حتى ينفسح الطريق بعد ذلك لتنفيذ المشروع الذى وضعه سيايس .

وفى الثامن عشر من برومير (٩ نوفمبر) بدأ سيايس بتقديم استقالته من عضوية الديركتوار وتبعه فى ذلك زميله ديكو (Ducos) وحمل بارا على الاستقالة كذلك . فسقطت الهيئة كلها . ودعى المجلسان الى الاجتماع والنظر فى معالجة الحالة ولكن ألقى فى روع مجلس النواب أن مؤامرة تدبر لأعضائه فى باريس فأغرى بذلك على قبول الانتقال مع مجلس الشيوخ الى ضاحية سان كلو .

(St. Cloud) وكان المقصود باخراجه من باريس فى الحقيقة أن يكون بعيدا عن حماية الشعب الباريسى وأن يقع مباشرة تحت تأثير الارهاب الذى قصده به نابليون حتى لا يعارض فى احداث الانقلاب .

وسار نابليون بنفسه الى سان كلو فى كوكبة من جنوده المخلصين حتى دخل مجلس الشيوخ وهناك ألقى خطابا قال فيه ان نظام الحكومة الحالية أصبح عديم الفائدة وأنه ترك فرنسا زاهرة زاهية ولكنه وجدها عند عودته اليها ذابلة ذاوية وأن جنودها فشلوا فى جميع الميادين وأصابهم الخذلان وأنه هو وحده الذى صادفه التوفيق ولاحظته العناية . ثم دعا الى ضرورة تغيير نظام الحكومة .

وكان من المستمعين لهذا الخطاب بعض أعضاء مجلس الخمسمائة فحملوا فحواه الى زملائهم فى مجلس النواب وما كاد يدخل عليهم نابليون بعد ذلك حتى صاحوا فى وجهه :

« كرومويل ! فليسقط المستبدون ! »

اشارة الى أنه يريد أن يفعل بهم كما فعل كرومويل بالانجليز ثم أوسعوه لعنا وسبا وأخذوا بخناقه ودفعوه الى خارج المجلس . فاحتمله أعوانه وخرجوا به من القاعة فاقد الصواب وكاد يدركه

وأنصاره الفشل لو لا أن أمر أخوه لوسيان بونابرت (وهو اذ ذاك رئيس المجلس) باخلاء قاعة الاجتماع فدخل الجنود بسلاحهم وهجموا على النواب ففر هؤلاء أمامهم من الأبواب والنوافذ أيضا فى حالة ذعر وفزع شديد .

وفى مساء ذلك اليوم المشهود عاد من النواب خمسون عضوا من الموالين لحركة الانقلاب واشتركوا مع مجلس الشيوخ فى اصدار قرار بتشكيل حكومة مؤقتة من نابليون وسيايس وديكو لادارة شئون البلاد ريثما يتم وضع دستور جديد عهد تحضيره الى لجنة من المجلسين تعمل تحت اشراف الحكومة المؤقتة .

وعند ذلك تقدم سيايس بمشروعه الذى ظل حتى هذه الساعة سرا مطويا فى صدر صاحبه حتى أن نابليون نفسه لم يكن يعرف شيئا من تفصيلاته . ولكنه ما اطلع عليه ورأى توزيع السلطة فيه على النحو الذى سبق بيانه والذى لا يتحقق معه مقصده حتى قال : « ما أكثر ما أودعه سيايس من الخيالات ! فان به لخيالا للسلطة التشريعية وآخر للسلطة القضائية وثالثا كهيئة الحكومة. وانى لأراه فى حاجة الى شىء من السلطة المادية ! » .

وليس بخاف أين كان يريد نابليون أن يضع هذه السلطة المادية . فانه كان منذ البداية قد عقد النية كما أسلفنا على أن

يكون سيد فرنسا . فتناول المشروع بالتعديل والتبديل حتى أصبحت السلطة التنفيذية فى يد ثلاثة قناصل يتولى احدهم الرياسة على زميليه ويكون له وحده حق اعلان الحرب وتوقيع المعاهدات وانتخاب الوزراء و كبار الموظفين ورآسة الجيش والادارة

أما السلطة التشريعية فأصبحت تتألف من ثلاث هيئات :

(أولاها) مجلس الشيوخ وكان عمله مقصورا على انتخاب أعضاء المجلسين الآخرين والاشراف على تطبيق أحكام الدستور

(وثانيتها) مجلس التربيون (Tribunat) الذى اختص بدرس مشروعات القوانين والمناقشة فيها .

(وثالثتها) هيئة تشريعية جعل اختصاصها ابداء الرأى فيما يعرضه عليها مجلس التربيون من المشروعات . إما بالقبول وإما بالرفض .

* * *

وقد عرض هذا النظام على الأمة فوافقت عليه أغلبيتها العظمى وانتخب نابليون قنصلا أولا لمدة عشر سنوات . وعرض على سيايس أن يكون أحد القنصلين الثانيين ولكنه رفض أن يشغل مركزا صوريا لا سلطة لصاحبه ولم يقصد به نابليون إلا ذر الرماد فى العيون حتى لا يتهم بأنه يعمل بمفرده . فعرضت عليه

عند ذلك رياسة مجلس الشيوخ .

* * *

وهكذا عادت الحكومة فى فرنسا سيرتها الأولى . وانتهت مقاليد الحكم فيها الى رجل واحد . وانقشع غبار الثورة ومعاركها الدموية عن قصر التويلرى يسكنه نابليون وجوزفين بعد أن كان يسكنه لويس وماريته . وانهزمت أمام القنصل الأول وسلطته المطلقة مبادىء الحرية والأخاء والمساواة وامتلأت مناصب الحكومة بشيعته وأنصاره .

وأصبح النقد المباح جرما لا يغتفر فى حكومة نابليون الجديدة من أجله ينفى من فرنسا أمثال مدام دى ستايل (Mme de Stael) الصحفية القديرة التى جعلت دأبها مهاجمة استبداده والحملة عليه وعلى أعوانه .

ولم يعد يسمع من صوت فى فرنسا إلا ما كان صدى لآرائه وأفكاره .

وأصبحت سياسة الدولة فى الداخل والخارج لا ترسم وفقا لما يحسه الشعب أو تتطلبه المصلحة العامة . ولكن لتكون أداة لتحقيق أطماع القنصل الأول وتأويل أحلامه .

خاتمـــة

على أن الحوادث التى مكنت لنابليون فى فرنسا فجعلته على رأس حكومتها أولا ثم أمبراطورا عليها فيما بعد لم تلبث أن تطورت فأسلمته هو وأمبراطوريته الى الفناء ، وأعادت فرنسا من جديد الى أسرة (بوربون) .

فرجع لويس الثامن عشر ملكا عليها كما كان أجداده من قبل . وورثها من بعد موته (سنة ١٨٢٤) أخاه شارل العاشر الذى كان استبداده برعيته وخروجه عن الحد فى عدم الاكتراث بها سببا فى ثورة جديدة تعرف (بثورة سنة ١٨٣٠) أو ثورة (الأيام الثلاثة)

وجاء من بعد شارل هذا لويس فيليب بن (فيليب المساواة) (Philippe Egalité) وأقام فى فرنسا حكومة ديمقراطية كانت جمهورية المعنى ملكية الاسم غير أنها لم تعمر طويلا . وقامت ثورة أخرى فى سنة ١٨٤٨ بسبب انحراف لويس فيليب عن مبادئه الديموقراطية الأولى وبذلك دخلت فرنسا فى عهدها الجمهورى الثانى وبقيت كذلك تحت رياسة لويس نابليون الى أن سولت له نفسه السير على منوال خاله نابليون الأول فقلب

الجمهورية الى امبراطورية ووضع على رأسه تاجها باسم (نابليون الثالث) .

غير أن عهد هذه الامبراطورية الثانية كان أكثر شؤما على فرنسا من عهد الامبراطورية الأولى فان البلاد ما زالت تخرج من حرب لتدخل فى أخرى حتى تورطت فى الحرب السبعينية التى انتهت سنة ١٨٧١ بهزيمة فرنسا وخلع نابليون واقامة الجمهورية الثالثة التى بقيت فى فرنسا الى اليوم .

* * *

وخليق بنا قبل أن نختتم هذه الرسالة أن نقف قليلا لنتساءل عما اذا كانت الثورة الفرنسية قد حققت غاياتها — ولا مندوحة لنا عند الاجابة على هذا السؤال من التذكير بأن الثورة قامت فى وجه حكومة مستبدة ونظام اجتماعى فاسد . فأما الحكومة المستبدة فقد صارعتها الثورة حتى صرعتها ولكن الأمة الفرنسية عانت فى هذا السبيل أشق الأهوال . فانها ما زالت تقيم الحكومة بعد الحكومة حتى عرفت بالتجارب أن الفرد لا يمكن أن يكون موضعا للثقة وأن الأثرة لا تزال تجنح بأطهر النفوس وأشدها اخلاصا حتى تميل بها الى الاستبداد وان أليق النظم ما كانت الرياسة فيه لأجل قصير لا تفرخ فيه الأطماع ولا تطير . فلجأت

الى نظام الحكم الجمهورى حيث تتولى الأمة جميع السلطات وجعلت انتخاب رئيس الجمهورية لمدة سبع سنوات فقط ولكنها حظرت أن ينتخب للرياسة أحد أفراد الأسرات التى تولت الملك فى فرنسا . وبذلك عالجت أول أدوائها وأصبحت آمنة من هذه الناحية ما دامت مستمسكة بهذا النظام .

وأما فساد المجتمع ونظام الطبقات فقد سبق الفصل فيه منذ المعركة الأولى حيث قررت الجمعية الوطنية انقضاء عهد الاقطاع وقام العامة فى الأقاليم بتطهير فرنسا تطهيرا عمليا من أشرافها وأصحاب الامتياز فيها . وبنزع ملكية قطائعهم الواسعة وتمليكها للأمة لاستغلالها والانتفاع بما كان محبوسا عنهم من ثمراتها .

وخلاصة القول ان الثورة كانت نتائجها خطيرة عظيمة بقدر ما كانت ضحاياها كثيرة أليمة . ومما لا شك فيه أنها شقت بجهودها الدامية طريقا طويلا قرب كثيرا بين الانسان ومثله الأعلى فى بعض النظم الاجتماعية والحكومية .

انظر الى المجتمع الفرنسى كيف كان قبل الثورة موبوءا بطائفة من النظم العتيقة الفاسدة . كنظام السخرة . ونظام الاحتكار . ونظام الامتيازات . والتفريق بين الطبقات . ثم انظر اليه بعد الثورة كيف أصبح بريئا من شوائب هذا التأخر وكيف أقام أنظمته

الحديثة على مبادىء الحرية والاخاء والمساواة . وجعل قاعدة دستوره أن الناس يولدون ويعيشون أحرارا وأنهم متساوون فى مالهم من الحقوق وما عليهم من التكاليف . وأنه لا فضل لرجل على رجل آخر الا بما تميزه به كفاءته .

وتأمل فى حكومة فرنسا قبل الثورة كيف كانت أداة لتحقيق الاطماع الشخصية وكيف انتشرت الفوضى فى ظل استبدادها فتناولت نظام التشريع ونظام القضاء ونظام الضرائب وغير ذلك من النظم . ثم تأمل فيها كيف أصبحت بعد الثورة فى يد الشعب يديرها نوابه بما فيه صالح المجموع . وكيف كان هؤلاء النواب فى مراكزهم رمزا (لسيادة الأمة) ومظهراً من مظاهر (الديمقراطية) التى هى اليوم غاية كل الحكومات ومطمح كل الشعوب !

من أجل هذا اكتسبت الثورة أهميتها . ومن أجل هذا قلنا انها قاربت بين الانسانية ومثلها الأعلى فى المجتمع وفى الحكومة ومن أجل هذا سيظل التاريخ يحفظ لضحاياها أنهم عبدوا لأخوانهم من بعدهم هذا الطريق